وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة تكريت/كلية التربية للبنات

قسم اللغة العربية

المادة : الأدب الإسلامي / المرحلة الثانية

عنوان المحاضرة :

الشاعر حسان بن ثابت /ج2

أ.د محمد سعيد حسين مرعي

ms_husen@tu.edu.iq

م.د منار نبيل خطاب

م.د رفل احمد علي

1445هـ

2024م

كيف وصل شعر حسان بن ثابت؟

يمكن تقسيم مصادر شعر حسان إلى:

1. **كتب المغازي: التي تتحدث عن الغزوات خاصة غزوات الرسول، لذا ألفت هذه الكتب لذكرها، ومن أهم من ألف فيها أبان بن عثمان (ت105) وعروة ابن الزبير(ت 94) وعاصم بن عمر وغيرهم. (توضيح غزوات الرسول ومعاركه وتفاصيلها). واهتم المؤرخون بذكر المغازي فيما بعد، فعنوا كذلك بما يدور من أشعار قيلت في هذه المغازي، وأشهر من ألف فيها ابن إسحاق فغطى على جميع الكتب السابقة. ولم يصل هذا الكتاب سوى ما نقله منه ابن هشام والطبري، لكن ابن إسحاق لم يوثق به لأنه لم يكن شاعراً ولا رواية ولا عالماً بهما فشكك بأشعاره كثيراً.**
   لكن ابن هشام عندما نقل بعض هذه الأشعار وثقها وتأكد من صحة تلك الأخبار والأشعار عن طريق الرجوع لبعض الرواة مثل أبي زيد الأنصاري، وهو راوية معروف، فإذا نفاها أبو زيد حذفها ابن هشام، لذا كانت سيرة ابن هشام قد حذفت كثيراً مما ورد في سيرة ابن إسحاق من أشعار قيلت في غزوات الرسول ومعاركه.
2. **الأنصار: وهم قوم حسان، إذ رووا شعرها الجاهلي والإسلامي فرووا الجاهلي لأنها تذكر مفاخرهم وتعظم أنسابهم وخاصة في مناقضاته مع قيس بن الخطيم. ويروون الشعر الإسلامي لأنه يفخر بفضل الأنصار– وهو منهم– في مساعدة الرسول ودورهم في احتضان الإسلام ورعايته كونهم أول من دخل فيه وسانده. كما رووا حتى أخباره، فيذكر مثلاً ابن النديم كتابين للزبير بن بكار، اسم الأول (أخبار حسان) والآخر (أخبار عبد الرحمن بن حسان)، والزبير هذا راوية موثوق به، ولذلك يكررها المتأخرون عنه ويرددونها في كتبهم كالأصفهاني وابن عبد البر وابن الأثير وغيرهم.**
3. **المحدثون: وهو ناقلوا الحديث الشريف وذلك لاقتران حسان بالرسول، ولتبين موقف الرسول من الشعر عامة عن طريقه وعن طريق موقف الرســـــــول – صلى الله عليه وسلم– من شعر حسان، إذ تمثل أقواله تلك موقف الرسول من الشعر عامة،**

ومن أولئك سعيد بن المسيب ومحمد بن سيرين وسعيد بن جبير وغيرهم من رواة الكوفة والبصرة ومعظمهم كانوا من الرواة الموثوق بهم، لذا جاءت أشعاره صحيحة.

وهناك رواة للديوان وليس فقط للأحاديث، ومن أهم من روى ديوانه: محمد بن حبيب، ويقول عنه ثعلب: سمعت أن محمد بن حبيب يملي شعر حسان فأتيته، ولما عرف بمجيئي قطع الإملاء خشية أن يخطئ فيسمعه ثعلب فلا يسكت عن خطأه.

وروى ديوانه: علي بن المغيرة والعدوي أحد علماء القرن الثالث الهجري في الأنساب والمثالب، فروى أشعاره ونفى كثيراً منها لاعتقاده بوضعها.

4. كتب التاريخ والأدب: مثل تاريخ الطبري والمسعودي والطبقات الكبرى والشعر والشعراء والإصابة والاستيعاب والكامل لابن الأثير، وهو- أي المؤرخ- عندما يذكر الغزوات مثلاً يذكر شعر تلك الغزوة.

أما كتب الأدب مثل الأغاني والعقد الفريد وعيون الأخبار والكامل وغيرها. كذلك معاجم الألفاظ التي يورد فيها كيفية استعمال اللفظ عن طريق وروده في الأشعار كاللسان والتاج ومقاييس اللغة والمحيط والبارع والتهذيب.

أسباب الوضع في شعر حسان:

1. لأنه شاعر الرسول، فإن مدح شخصاً رفع شأنه، وإذا هجا فإنه يقلل من قيمته أكثر من أي شاعر آخر، إذ هو المميز بينهم في تلك الفترة.
2. الخصومات السياسية بين القبائل القريشية، فقال ابن سلام: (كثير الشعر جيده، حمل عليه ما لم يحمل له ذلك).
3. صراع القبائل العربية بعد مقتل عثمان بن عفان دفعت ببعض القبائل أن تضع أشعاراً وتنسبها لحسان، فقد وضعت على لسانه قصيدة في هجاء أبي لهب وبني مخزوم، فأي قبيلة في خصومة مع أخرى تلجأ إلى وضع شعر على لسانه.
4. الخصومات السياسية خاصة بعد مقتل عثمان، فبرزت بين علي وأنصاره من جهة، ومعاوية وأنصاره من جهة، فوضع الأمويون قصائد ترثي عثمان وتطالب معاوية بالثأر، وكانت محملة بالضغائن. كذلك الزبيريون الذين وضعوا مثل تلك الأشعار ووضع

العباسيون أشعاراً تمدح العباس عم الرسول على لسان حسان، أو في رثاء جعفر بن أبي طالب، وفيها ذكر لسلسلة النسب التي تربط العباسيين بالرسول- صلى الله عليه وسلم-.

اختلاط شعر حسان بشعر غيره:

اختلط شعره بشعر غيره مثل ابنه وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة لأنهم جميعاً قالوا أشعاراً في مديح الرسول وهجاء الكفر والكفار. وشعر حسان الذي اختلط بشعر كعب أكثر من شعره المختلط بشعر عبد الله لأن حسان وكعب تشابها بأنهما يعيران الكفار بالأيام والمثالب، في حين أن عبد الله كان يعيرهم بالكفر.

أما اختلاط شعره بشعر ابنه فيعود إلى الرواة لأنهم قد ينسبون أشعار الأب للابن وأشعار الابن للأب.

أسباب نبوغه الشعري:

الموهبة وحدها لا تكفي لأن تكّون شاعراً مجيداً، إنما هناك عوامل عديدة جعلت حسّان شاعراً متميزاً ، من أهمها:

1. كونه من بيت عريق في الشعر، إذ كان أبوه وجده شاعرين وابنه عبد الرحمن وحفيده سعيد شاعران، فآل حسان من أعرق البيوت الشعرية في الشعر.
2. الحروب التي قامت بين الأوس والخزرج وما تبعها من مناقضات بينه وبين قيس بن الخطيم.
3. طمعه في المال بسبب قربه من الغساسنة والمناذرة وهي نقطة حساسة، إذ تعنى بتكسب حسان في الشعر، إذ قد يكون حسان قد حصل على هذه الأموال كهدايا، خاصة أنه كان يقول الشعر فيمن يقدره ويجله بين الناس، فوجدت بعض قصائد المدح للمناذرة، وقيل أنها موضوعة، أما مدحه للغساسنة فهي عائدة إلى صلة النسب بينه وبينهم، فإن مدح الغساسنة مدح قومه وهو منهم.

4. فخره بأنسابهم وأيامهم وهي صحيحة مما جعلت أشعاره تمتاز بالصدق والقوة.
5. لأنه شاعر الرسول الأول فعاصر أيام المسلمين ومعاركهم ضد المشركين.

أغراض حسان في الجاهلية:

1. الهجاء: في مناقضاته مع قيس بن الخطيم.
2. المدح: في مدح ملوك الغساسنة والمناذرة وأكثره للغساسنة.
3. الفخر: فخره بقومه وأيامهم ومآثرهم.
4. الغزل: غزله الرقيق بعمرة وشعثاء.

شعر حسان بن ثابت الإسلامي:

يمكننا تمييز شعر حسان الإسلامي عن طريق ما يأتي:

1. ورود الألفاظ الإسلامية فيه نظراً لتأثره بألفاظ القرآن والحديث النبوي.
2. ذكر المناسبة التي قيلت فيها القصيدة، كأن يقال أن القصيدة الفلانية قيلت في يوم بدر أو في رثاء الحمزة مثلاً، فنعرف أن القصيدة إسلامية.
3. بعده عن معاني الجاهلية كالغزل الماجن والعصبية القبلية، إذ ترك فخره بالخزرج ووصف الخمرة، ولكن قد يكون هذا الوصف إسلامياً لأن الإسلام حرّم الخمر على مراحل، إذ حرّمها أولاً في الصلاة (لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى) ثم حرّمت إطلاقاً حوالي سنة 6هـ، ومعنى ذلك أن القصائد التي نظمها حسان قبل 6هـ قد تكون إسلامية.

همزيـــــة حســـــان

عفتْ ذات الأصابع فالجواءُ ... إلى عذراءَ منزلُها خلاءُ
ديارٌ من بني الحسحاسِ قفرٌ ... تُعفيها الروامسُ والسماءُ
ونشربُها فتتركنا ملوكـــــــاً ... وأسداً ما ينهنهنا اللقاءُ
عدِمنا خيلنا إن لم تروهـــا ... تثيرُ النقع موعدها كداءُ
يبارينَ الأعنةَ مصعـــداتٍ ... على أكتافِها الأسلُ الضماءُ

تظل جيادُنا متمَطـــــــراتٍ تَلْطِمُهنَّ بالخمرِ النساءُ
فأما تعرضوا عنا اعتمرنا وكان الفتحُ وأنكشف الغِطاءُ
وإلا فاصبروا لجلادِ يـــومٍ يعزُ الله فيه من يشاءُ
وجبريلُ رسول الله فينـــا وروح القدس ليس له كفاءُ
وقال الله قد أرسلتُ عبداً يقول الحقَّ إن نفعَ البلاءُ
شهدتُ به فقوموا صدقوه فقلتم لا نقوم ولا نشاءُ
وقال الله قد يسرت جنداً هم الأنصار عُرضتها اللقاءُ
لنا في كل يومٍ من مَعَدٍّ سبابٌ أو قتالٌ أو هجاءُ
فنحكم بالقوافي من هجانا ونضرب حين تختلطُ الدماءُ
ألا أبلغ أبا سفيان عني فأنت مُجوَّفٌ نَخِبٌ هواءُ
بأن سيوفنا تركتك عبداً وعبدُ الدار سادتها الإماءُ
هجوت محمداً فأجبتُ عنه وعند الله في ذاك الجزاءُ
أتهجوه ولست لـــــــه بكفءٍ فشركما لخيركما الفداءُ
هجوت مباركاً بِراً حنيفـــــاً أمين الله شيمته الوفاءُ
فمن يهجو رسول الله منكـــم ويمدحه وينصره سواءُ
فأن أبي ووالده وعرضـــــــــي لعرضِ محمدٍ منكم وِقَاءُ
فأما تثقفن بـــــــــــنو لؤيٍّ جذيمةَ أن قتلهم شفاءُ
أولئك معشرُ نصروا علينـــا ففي أظفارنا منهم دماءُ
وحلفُ الحارث بن أبي ضرارٍ وحلفُ قريظةَ منا بَراءُ
لساني صارمٌ لا عيب فيـــــه وبحري لا تكدره الدِّلاء
وأحسن منك لم ترَ قط عيني وأجمل منك لم تلدِ النساء
خُلقتَ مبرءاً من كل عيـــبٍ كأنك قد خلقت كما تشاءُ

- من 11-16 : تهديد للمشركين، وهو الموضوع الأساسي بلهجة شديدة تبين ثقته في نصر الله وما تخيله قد حدث بالفعل في فتح مكة.
- من 16-21 : فخر إسلامي يفخر بأن روح القدس معه مبتعداً عن الفخر القبلي متحدثاً باسم عموم المسلمين بدون ذكر لأسماء قبائل.
- من 22-25 :هجاء لأبي سفيان مجرداً إياه عن قريش، لأن الرسول من قريش، ثم يصفه بالجبن، وأنه تقلبه الأهواء وضعف رأيه بدليل أنه يوم أُحُد كان أبو سفيان

يوجه المشركين وجعل أبو سفيان لواء المشركين بيد بني عبد الدار كان يحمله أولاً طلحة بن أبي طلحة، وقتله علي فأشار أبو سفيان بأن يحمله أخوه عثمان فقتله الحمزة، ثم قتله سعد بن أبي وقاص، ثم حمله مسافع بن طلحة فقتله عاصم بن ثابت، ثم حمله عبد أسمه صواب، ثم حملته امرأة.

- من 26-28 : مديح الرسول- صلى الله عليه وسلم-.
- من 29-32 : فخر جماعي.

مسألة ضعف شعر حسان في الإسلام:

يقول البعض بضعف شعر حسان في الإسلام عدا الهجاء، إذ بقيت أساليبه الجاهلية من تعيير بالأيام والمثالب، ويستند المعتقدون بذلك إلى محاورة دارت بين الأصمعي والسجستاني، فكان الأصمعي يشيد به ويصفه بأنه أحد فحول الشعراء، فأجابه أبو حاتم السجستاني: (تأتي له أشعارٌ لينة)، فأجابه الأصمعي: (تنسب له أشياء لا تصح عنه). ويستندون كذلك إلى قول الأصمعي في حسان بما معناه أن شعر حسان دخل الخير فضعف مستشهداً بمراثي الرسول والصحابة، وإن طريق الشعر الصحيح هو طريق الفحول كالأعشى ولبيد والذبياني الذين قالوا ما لم يحلله الإسلام.

وإذا ما أخذنا شعر حسان بن ثابت في عقائد المسلمين كمدح المسلمين والفخر بهم، فأن اللين قد يخص هذا المجال من شعره (على فرض أنه لان) كالفخر بهم ومديح الرسول، لكن الهجاء الذي كان يصبه على المشركين لا يدخله هذا اللين لأنه بقي بنفس أسلوب هجاء الجاهلية.

أسباب هذا الضعف:

1. انبهاره بعظمة وبلاغة القرآن وأحاديث وخطب الرسول مما جعله يحبط لعدم وصول مستوى شعره إلى هذا المستوى الراقي.

2. أكثر أشعاره قيلت ارتجالاً، ولذلك سمي بشاعر الطوارئ، فشعره غير منقح، وكان الرسول كثيراً ما يدعوه فجأة ليرد عن المسلمين في موقف معين طارئ، والشعر المرتجل بالتأكيد ليس كالشعر المنقح والمعاد النظر والتفكير فيه.
3. نظم شعره الإسلامي وهو شيخ هرم كبير، والشعر يشيخ مع الجسم (وفي هذا شك).
4. سئل حسان عن لين شعره فقال: (الإسلام يحجز عن الكذب والشعر يزينه الكذب).
5. شعر حسان في العقائد الإسلامية قيل في الإسلام بمعنى أن المبادئ الإسلامية فرضت على المسلمين أموراً كثيرة، فمن طبع الإسلام اللين والرقة وعدم المبالغة والاعتدال والاتزان.

وانعكس كل هذا على شعر حسان لالتزامه بالإسلام، فلا يصح أن ننقد الشعر الإسلامي بمقاييس الشعر الجاهلي، لأن لكل عصر ظروفه الخاصة وأحداثه، وعلى هذا الأساس تختلف أغراض وأنواع وقوة الأشعار في العصور المختلفة، لأن الشعر مرآة الأمم يعكس ظروفها.

ولو قارنا بين شعره الجاهلي والإسلامي ووجدنا الضعف في الثاني، يمكننا القول أن أشعاره اللينة موضوعة عليه، كما قال الأصمعي، وهو راوٍ ثقة يُستعان برأيه. كذلك يمكننا القول أن أشعاره الجاهلية لم تكن جميعها قوية جزلة المعاني بما يعني أن ضعف شعره ليس سببه الإسلام.

وأما قول الأصمعي بأن الشعر إذا دخل فيه الخير ضَعُف، فهو قول مردود عليه لأن أشعار حسان الجاهلية حَوَت معاني الخير كما حوتها أشعار غيره من شعراء الجاهلية، إذ لم تكن أشعارهم قاصرة على الشر.

شرح القصيدة (متى قيلت القصيدة) ؟

يقال أنها قيلت قبل فتح مكة، والرأي الآخر أن هذه القصيدة قيلت أول ما ابتدأ الشعر في هجاء قريش، وهو رأي شوقي ضيف، والرأي الثالث أنها قيلت في فتح مكة وهي رواية ضعيفة بسبب أن هناك كثيراً من المعاني تدل على أنها قيلت قبل فتح مكة، ولابد من قرينة تدل على ذلك منها أن بعض المسلمين رددوا بعض هذه الأبيات عند فتح مكة في البيت:

تظل جيادنا متمطراتٍ تلطمهن بالخمر النساء

(لأنهم رأوا معناه مجسداً أمامهم في الواقع) مما يدل على أن القصيدة قيلت قبل فتح مكة.

تتألف المقدمة من عشرة أبيات وتدور معانيها حول الوقوف على مواضع في بلاد الشام (ذات الأصابع، الجواء، عذراء) وهي اليوم مقفرة بعد أن كانت زاخرة بأهلها، ثم يصف حبيبته ويتذكرها ويتغزل بها، ثم يشبه رضاب حبيبته بالخمر لينتقل إلى وصف الخمر، ويصف أصحابه كيف يشربونها وكيف يصير حالهم بها.

وكما يبدو أنها تحمل الكثير من معاني الجاهلية التي لا تتناسب مع روح الإسلام وتعاليمه، ونتساءل: هل من الممكن ، يكون حسان بعد إسلامه قد قال مثل هذا القول؟ والجواب بالتأكيد يكون بالنفي وهي تدلل على أنه لم يقلها في الإسلام.

يقال أن حسان مرّ في عهد الإسلام على قوم كانوا يشربون الخمر وقد أغاظه ذلك فعابه عليهم، فقالوا:

(يا أبا الوليد لم نأخذ هذا إلا منك، وكلما نهم بتركها نتذكر قولك:

ونشربُها فتتركنا ملوكاً وأسداً ما ينهنهنا اللقاءُ

فنرجع إليها، فقال حسان: والله لقد قلتها في الجاهلية وما شربتها منذ أسلمت).

وذكر ذلك ابن عبد البر في كتابه الاستيعاب.

وقال مصعب: (بدأها في الجاهلية ثم أكملها في الإسلام)، ويعني ذلك أنه لمّا أراد هجاء أبي سفيان أتى بهذه المقدمة الجاهزة.

س) ألم يعلم حسّان أن هذه الأقوال الواردة في المقدمة مستهجنة في الإسلام؟

يقال أن حسان عرف ذلك، ولكنه مع ذلك عرف في نفس الوقت أن المسلمين يقدرون ذلك لكونها تقليداً لطريقة الشعراء المعروفة في الاستهلال.

ولو غيّر هذه المقدمة لاحتاج منه ذلك إلى وقت وهو شاعر يقول الشعر ارتجالاً، لذا سمي بشاعر الطوارئ، وكثير من قصائده الإسلامية نجده يقول فيها مقدمات قصيرة جداً لأن شعره

ارتجالي سريع يناسب المواقف الإسلامية السريعة. ثم أن هناك من يذهب إلى أن المقدمة خصصت لذات الشاعر لأن الشاعر إذ يمدح أصحابه يمدح نفسه.

قسمت مقدماته إلى قسمين في الإسلام:

1. مقدمات غزلية رقيقة.
2. مقدمات طليلة قليلة مجتزءة يقول فيها (دع) فيجتزؤها لينتقل إلى غرضه الأصلي.

والمقدمتان يبيحها الإسلام.

وبعض القصائد بلا مقدمات، ومعنى ذلك أن بنية القصيدة العربية تطورت بالابتعاد عن وصف الأطلال، فحسّان بن ثابت أول من دعا لترك الوقوف على الأطلال، ولكن دعوته تلك كانت دعوة عملية غير مباشرة، لذا فمن الخطأ القول أن أبانؤاس أول من دعا لذلك، إنما دعت الظروف حسّان إلى أن يترك المقدمات لأنها تتطلب وقتاً ولا تصلح مع المواقف السريعة الإسلامية.

كذلك هناك رواية تقول أن لحسّان قصيدة همزية جاهلية وأخرى همزية إسلامية، ولم يبق من الأولى سوى الأبيات العشرة المذكورة، لذا اقترنت بالثانية لشهرتها، وتركوا القصيدة الجاهلية،فهي إذا مقدمة منظومة في الجاهلية.